دراسة نقديّة حول الرسالة البابويّة
«رونق الحقيقة»*

الأب جورج خوّام البولسي**

مقدّمة

إنّ الوثيقة التي نحن في صدد معالجتها «رسالة» بابويّة موجّهة، أوّلاً، إلى أساقفة الكنيسة الكاثوليكيّة، وإلى رعاتها ومؤمنيها ورجالات الفكر فيها، وجميع المولجين بنشاطات مختلفة على صعيد التعليم والتربية والتوجيه وفق النهج المسيحيّ الكاثوليكيّ. وهي مطروحة، ثانيًا، كوثيقة كنسيّة رسميّة أمام ضمائر الإخوة المسيحيّين الآخرين، سلطات كنسيّة ومؤمنين، الذين لهم كلُّ الحقّ أيضًا في النظر مليًّا في أحكامها وتصريباتها وتعليمها. كما أنّها تخاطب، ثالثًا، كلّ إنسان أخٍ في الأسرة البشريّة. هذه هي هويّتها في عمقها؛ لذلك تدعى «رسالة».

والرسالة التي دون قارئ خطاب دون مستمع. ولمّا كانت هذه الوثيقة هكذا، على نحو ما هي عليه، رسالةً إلى المؤمنين وغير المؤمنين، بات من حقّ الجميع قراءتها واستفسارها عن محتواها وسبر إثباتاتها وتمحيص الخلاصات التي انتهت إليها، سعيًا في التجاوب معها وتجاوبًا مع مشيئة الساعي إليها، الذي أرادها لضرورتها ورغب إلّا عن المجيء بها.

(*) آثر كاتب المقال عبارة «رونق الحقيقة» لترجمة *splendor veritatis*.

(**) أستاذ الكتاب المقدّس في معهد القدّيس بولس للفلسفة واللاهوت ـ حريصا (لبنان).

ولكن شتّان ما بين قراءتها كنصّ وقراءتها كرسالة. إنّ الرسالة نصّ وفي النصّ إبلاغ. وإن ربا عدد القارئين للنصّ وعظم لفيف الواقفين على مضمونه فالجادّون في تلقّف «الإبلاغ» والغائصون في تمحيص مقوّماته قلّة، لأنّهم يبحثون في دعائم الرسالة ويروزون استقرار الأفكار فيها، ومنشدهم من عملهم نبيل لا يروم سوى خدمة «رونق الحقيقة»، التي تجهد الرسالة في إعلانه وإبلاغه. فقراءة الرسالة لدى هذه الفئة من القرّاء هي قراءة نقديّة مختصّة ومعنيّة باستجلاء رسوخ الأفكار وصوابيّة البلوغ إليها ومرضوعيّة صياغتها. إنّها قراءة للرسالة في عمق ما تريد هذه تبليغه.

ضمن هذا النهج تندرج قراءتنا للرسالة. إنّنا سوف نقود بحثنا وفق الناحية الكتابيّة فيها، أي القاعدة التي عليها يرتفع بناء الرسالة كلّه، لكي نتطلّع من خلاله على الأثر الحاسم في وجهة بناء الناحية الأخلاقيّة التي تتطرّق إليها الرسالة، جاعلةً منها محور اهتمامها الرئيسيّ.

ولكن، لمّا كانت الرسالة مؤلّفة من فصول ثلاثة، مختلفة في ما بينها من حيث النظرة الفكريّة، وجُب علينا بالتالي العمل على التلاؤم وبنيتها. «فالفصل الأوّل كناية عن تأمّل عميق وجليّ وبديع في مشهد الشابّ الغنيّ...» (مقدّمة، صفحة ٨*)؛ بينما يستعرض الفصل الثاني مختلف النظريّات الحديثة «التي في وسعها تشويه الإدراك الصحيح للعقيدة الأخلاقيّة الكاثوليكيّة... ثمّ يناقشها» (صفحة ٨). أمّا الفصل الثالث فهو كناية عن «نداء إلى تعاون السلطات المدنيّة واللاهوتيّين والأخصائيّين في علم الأخلاق...» (صفحة ٩)، في مسعى تحريضيّ بحت ينأى عن الاهتمام الحصريّ بفصول الكتاب المقدّس. لذا، فقد قصرنا بحثنا على الفصل الأوّل من الرسالة، حيث تستأثر الناحية الكتابيّة بكلّ الاهتمام. واجتهدنا في تحليله بغية إبراز الطريقة التي تسلك فيها الرسالة في استخدامها نصوص الكتاب المقدّس.

---

(٥) الطبعة المستعملة هي التي صدرت بالفرنسيّة عن دارَي Mame/Plon في تشرين الأوّل ١٩٩٣.

إستعمال الرسالة للمقاطع الكتابيّة

يدور الفصل الأوّل من الرسالة حول مشهد الشابّ الغنيّ كما يرد في إنجيل متّى ١٩ : ١٦-٢١، فيتناوله آية آية في تحليل دقيق للتعابير، ويلج فيه بُعدَ المعاني من خلال فحص المواقف المتبادلة والغوص في أبعاد النفس. كما تبرز المقدرة على تثبيت النتائج التي يبلغ إليها التحليل، إذ يأتي باستشهادات كتابيّة وآبائيّة ومجمعيّة تصبّ كلّها في خانة النتيجة المدركة، دون أن يخلو في الوقت نفسه من شفافيّة روحيّة وتأمّليّة، ووضوح في التعبير، وسلاسة في الصياغة، وسموّ الغاية التعليميّة، ولا سيّما الأخلاقيّة منها. لكنّ هذا كلّه منوط في مجمله بالقراءة التفسيريّة التي يعتمد عليها الشرح للمقطع الإنجيليّ المذكور، كما يبدو جليًّا من خلال التأكيد التالي، الوارد في الصفحة ٢٨ من الرسالة:

«على نحو ما جرينا في القسم السابق من جواب يسوع، ينبغي على هذا الأخير أن يقرأ ويفسّر في إطار الرسالة الأخلاقيّة بكاملها للإنجيل...».

ثمّة إذًا في انطلاقة المعالجة التحليليّة لنصّ المقطع الإنجيليّ قراءة تفسيريّة محدّدة، يعتمد عليها كاتب الفصل الأوّل للرسالة الذي ينظر إلى الإنجيل بكامله وكأنّه «رسالة أخلاقيّة». لذا، ينبغي من ثمّ علينا النظر عن كثب إلى الطريقة التي يتّبعها كاتب رونق الحقيقة، في قراءته التفسيريّة المحدّدة التي يطلّ بواسطتها على رسالة الإنجيل الخلاصيّة، وينبش ما في هذا الكنز من درر حياتيّة ثمينة.

إنّنا، إذ ما نظرنا بعين التحليل العلميّ إلى العرض الذي يقدّمه الفصل الأوّل من الرسالة رونق الحقيقة، في شأن تفسير مقطع الشابّ الغنيّ، لأمكننا أن ننفذ إلى إثبات ثلاثِ طرائقِ قراءة يضطلع بها كاتب الرسالة:

١ - قراءة تفسيريّة، وهي قراءة موضوعيّة يلازم فيها الشرح معطيات المقطع المباشرة؛

٢- قراءة تأويليّة، وهي قراءة يقتطع فيها الشرح رسالة النصّ المعالج فيعلّلها على نحو مطلق، ويرى فيها أمثولة تنطبق على الحالة الراهنة؛

٣- قراءة روحانيّة، وهي أبعد القراءات عن النصّ، إذ ينبسط الشرح في رحاب التأمّل ويستسلم لوثبات الذاكرة وطفرات القلب في جوّ من الورع والتعظيم.

كما لا يفوتنا أن ننوّه إلى إيثار الرسالة مقطع الشابّ الغنيّ كما يرد في إنجيل متّى ١٩: ١٦ وما يلي، بالرغم ممّا تورده في صريح العبارة («انظر «المقدّمة» ص ٩، و «الرسالة» ص ١٦) بشأن اعتماد نصّي مرقس ولوقا. فإنّ نصّ إنجيل متّى يتفرّد بين الإنجيليّين الثلاثة في إيراد الآية ١٩: ١٧ب، التي نصّها: «إذا شئت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا»، والتي تشكّل حجر الزاوية الرئيسيّ في استخلاص النتائج الأكثر نفاذًا في توجيه دقّة التعليم الأخلاقيّ، الذي توليه الرسالة جلّ اهتمامها. أمّا استعمال نصّي الإنجيليّين مرقس ولوقا فينحصر في ما يتفرّد به متن نصّهما (مر ١٠: ١٨ب و لو ١٨: ١٩ب)، ألا العبارة التالية: «لماذا تدعوني صالحًا، لا صالح إلّا الله وحده؟»، علمًا بأنّ الشطر الثاني من العبارة وارد في نصّ متّى (١٦: ١٧).

إنّنا إذ نضرب صفحًا عن معالجة هذه النقطة الأخيرة في قراءتنا النقديّة التالية، سوف نعرض بالمقابل القراءات الثلاث حصرًا، بدافع التقيّد بالإيجاز في بسط مطالعتنا.

١ ـ القراءة التفسيريّة

يتميّز هذا النوع من القراءة بالموضوعيّة المنزّهة عن أيّ مأرب آخر غير مأرب التفسير. فلا نزعة إلى تمرير فكرة، ولا منازعة مع معاني النصّ حتّى يبيّن عمّا لا يكتنفه. بل جلّ الجهد التفسيريّ المبذول إبراز النصّ في حلّته القشيبة، وإنارة جوانبه المتعدّدة حتّى تجلو معانيه دون عنوة ومن غير قسر.

إنّ مثل هذه القراءة الرائدة ساطع في أماكن شتّى من الرسالة رونق

الحقيقة: فما يرد في الرقم ٨، الصفحة ١٤، بخصوص شرح آية متى ١٩: ١٦، دليل على هذا النوع من القراءة، إذ يذهب الشرح المذهب التالي في معرض الحديث عن موقف الشابّ الغنيّ:

«إنّه إسرائيليّ ورع شبّ في ظلال شريعة الربّ. ولئن يطرح هذا السؤال على يسوع ففي مقدورنا أن نتخيّل أنّه لا يأتي عمله عن جهل للجواب المدوّن في الشريعة. بل إنّه من المحتمل جدًّا أن يكون سحر شخصيّة يسوع قد أثار فيه تساؤلات جديدة حول الخير الأخلاقيّ. لقد أحسّ الشابّ بضرورة الدنوّ من ذاك الذي ابتدأ بشارته بمثل هذا الإعلان الجديد والحاسم: «لقد حلّ الزمان واقترب ملكوت الله: فتوبوا وآمنوا بالإنجيل» (مر ١: ١٥).

كذلك هو الحال أيضًا بشأن الفكرة اللاهوتيّة التي يستخلصها الشرح من تفسير لآية متى ١٩: ١٧: «لا صالح إلّا الله وحده». فالرسالة محقّة في تسطيرها الفكرة التالية:

«في الحقيقة، يعني التساؤل حول الخير في ختام المطاف الالتفات نحو الله الذي هو ملء الصلاح. فيسوع يُظهر أنّ سؤال الشابّ إنّما هو في الواقع سؤال دينيّ، وأنّ الصلاح الذي يجتذب المرء ويحمله في الوقت نفسه على الالتزام إنّما مصدره في الله، بل أحرى بالقول إنّ مصدره الله نفسه الذي يستحقّ وحده المحبّة «بكلّ القلب، وكلّ النفس، وكلّ الذهن» (متى ٢٢: ٣٧)، هو الله مصدر سعادة الإنسان. إنّ يسوع يقارب بين السؤال حول الفعل الحسن أخلاقيًّا وجذوره الدينيّة والاعتراف بالله، الصلاح الأوحد، وملء الحياة، وغاية المسلك البشريّ القصوى والغبطة التامّة».

وتستمرّ هذه القراءة التفسيريّة الصائبة في خطّها الموضوعيّ لدى استطرادها في إصدار الشرح تلو الشرح بخصوص الآية المذكورة متى ١٩: ١٧، حتى إنّها تخلُص إلى رؤية متينة وجليّة في شأن قدرة الإنسان الحقيقيّة، لا المثاليّة والخياليّة، في التزامه حياةً وتطبيقًا جانب المثل الأخلاقيّة. ففي الصفحة ١٩، الرقم ١١، تؤكّد الرسالة:

«يعود بنا التأكيد على أنّه «لا صالح إلّا الله وحده» إلى اللائحة الأولى للوصايا، التي تدعو إلى الاعتراف بالله إلهًا واحدًا أحدًا... فالخير هو الانتماء لله، والطاعة له، والسير سيرًا وضيعًا معه بإقامة العدل ومحبّة الرحمة. إنّ الاعتراف بالربّ إلهًا نواة الشريعة الأساسيّة وصميمها، منها تنحدر الرسوم الخاصّة...

ولكن إن كان الله وحده هو الصلاح ففي غير وسع أيّ من الجهود البشريّة، ولا في وسع أشدّ الالتزامات بالوصايا تقيّدًا، أن «يتمّ» الشريعة، أي أن يعترف بالربّ إلهًا...».

ضمن هذا الخطّ التفسيريّ للقراءة الكتابيّة الموضوعيّة تندرج أيضًا التأكيدات الواردة تحت الرقم ١٣، على امتداد الصفحتين ٢٣-٢٤.

٢ ـ القراءة التأوينيّة

إنّ هذا النوع الثاني من القراءة الذي يقوم في أساسه على نقل رسالة المقطع الإنجيليّ من ظروفه ومعطياته وعقليّة معاصريه إلى الآن الراهن غالبٌ على الشروحات التي تمليها الرسالة ورونق الحقيقة، كما يظهر جليًّا في الشرح الوارد تحت الرقم ٧، ص ١٣ للجملة الإنجيليّة «وإذا شابّ...»، إذ يأتي التعليق على النحو التالي:

«يسعنا أن نكتشف في الشابّ الذي لا يذكر إنجيل متّى اسمه كلّ شاب يقترب من المسيح، عن وعيٍ منه أم عن غير وعي، فيطرح عليه السؤال الأخلاقيّ...».

كما يتبدّى ذلك أيضًا في الجملة الاعتراضيّة الواردة في الصفحة ١٦، الرقم ٩، بشأن التعليق على عبارة «المعلّم الصالح»، إذ تذكر الرسالة:

«إنّ المعلّم الصالح يبيّن لمحادثه ـ ولنا جميعًا ـ أنّ الجواب على السؤال: «ماذا عليّ...؟» لا يمكن الحصول عليه إلّا عبر توجيه الروح والقلب نحو مَن هو وحده الصالح».

قد لا تترك أحيانًا هذه القراءة التأويليّة أثرًا حاسمًا في صحّة الشرح المعطى إذا كان هدفه إنماءً روحيًّا محضًا، وإرشادًا توجيهيًّا وحسب، ينعش النفس ويبني منها طواياها. لكنّها تغدو ذا شأن بالغ الأثر عندما يتّجه الشرح في اتّجاه بناء الأحكام واستخلاص الخلاصات. وكلّما عَلَت درجة هذه الأخيرة إثباتًا وتحديدًا وجزمًا غدت القراءة التأويليّة منحازة ومهدوفة وأُحاديّة المنظار. فانطلاقًا من واقع القراءة التأويليّة، يصبح أمرًا ضروريًّا مراقبة مسارها ومعارج منطقها وتسلسل الربط فيها بين النتائج المدركة والتفسير الذي يُبلِغ إليها.

ففي الصفحة ٢١، على سبيل المثال، تفسّر الرسالة جواب يسوع إلى الشابّ: «إذا أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا»، على النحو التالي:

«في هذه الطريقة، يُفصَح عن الرباط الوثيق بين الحياة الأبديّة وحفظ وصايا الله: إنّ وصايا الله ترسم للإنسان طريق الحياة وتقود إليها. فعلى فم يسوع نفسه، موسى الجديد، تعطى أوامر الوصايا العشر ثانيةً إلى البشر؛ هو نفسه مَن يثبّتها تثبيتًا نهائيًّا ويعرضها علينا كطريق إلى الخلاص وشرط له».

إنّ هذا التفسير نتيجة قراءة تأويليّة لجواب يسوع، يقيم الدليل عليها الملاحظات التالية:

١ – الرباط وثيق بين الدخول في الحياة وحفظ الوصايا، لا «بين الحياة الأبديّة وحفظ وصايا الله»، كما يدّعي الشرح المعطى؛ ذلك أنّ «وصايا الله ترسم للإنسان طريق الحياة وتقود إليها»، كما يردف نصّ التفسير عينُهُ.

٢ – إنّ يسوع في جوابه إلى الشابّ الغنيّ لم يتفوّه بالوصايا العشر، أوّلًا؛ وهو لم يذكر منها ثانيًا ما ذكر إلّا بناءً على سؤال الشابّ، لا في نحو مطلق يخصّ البشر أجمعين. إنّ قراءة تحليليّة دقيقة للنصّ تختلف كلّ الاختلاف عن القراءة التأويليّة التي تميل الرسالة إلى الأخذ بها في

تأكيدها. أمّا الحديث عن شموليّة الوصايا العشر وأمر صلاحيّة الأخذ بها في كلّ زمان ومكان فيندرج في منظار آخر، لا شأن لجواب يسوع به، في نظرنا.

٣- هل يمكن حقًّا فهم جواب يسوع كأنّه حديث عن الخلاص أوّلاً، وشرط له ثانيًا؟

ثمّة المزيد ممّا ينبغي قوله في هذا المجال، ما يمكّن القارئ من عدم الوثوق بنتائج القراءة التأوينيّة، وعدم الركون إلى طريقتها في إصدار التأكيدات الجازمة. إنّ الرسالة تذكر في أسفل الصفحة ٢٠، أي قبل بضعة أسطر فقط من تأكيدها السابق ذِكرُهُ أعلاه، أنّ:

«إعطاء الوصايا العشر هو وعد بالعهد الجديد وعلامة له عندما سَتُدَوَّن الشريعة ثانية إلى الأبد، في قلب الإنسان... مستبدلةً شريعة الخطيئة التي قد أفسدت طبيعة هذا القلب...».

ما من داعٍ إلى كبير جهد حتّى يستجليَ القارئ هويّة كلٍّ من الشريعتَين اللتين يتحدّث عنهما النصّ: فالشريعة الجديدة التي ستدوّن ثانية «إلى الأبد، في قلب الإنسان» هي شريعة العهد الجديد، فيما «شريعة الخطيئة التي قد أفسدت طبيعة هذا القلب» هي الشريعة القديمة. فلِمَ، والحال هذه، نجد يسوع يصل وصلاً وثيقًا، بحسب الشرح الذي تعطيه الرسالة، شريعة الوصايا العشر بالحياة الأبديّة، دون أن يحبّذ للشابّ الشريعة الجديدة التي افتتح حقبتها هو نفسه؟ هل الحياة الأبديّة التي يرى نصّ الرسالة رونق للحقيقة رباطًا وثيقًا وبين الوصايا العشر أحقّ بالشريعة القديمة «التي قد أفسدت طبيعة هذا القلب» منها بالشريعة الجديدة؟

إنّ الحديث عن «الحياة الأبديّة» فصل من فصول العهد الجديد، لا يقوم للكلام عليه قائم إلّا في الرباط الوثيق مع شخص الربّ يسوع، سواء أكان في التجرّد لأجله (را متّى ١٩: ٢٩؛ مر ١٠: ٣٠؛ لو ١٨: ٣٠)، أم في الإيمان به (را يو ٣: ١٥-١٦)؛ وهذا أمر. والحديث عن الوصايا العشر فصل من فصول العهد القديم، له شأنه من زاوية الإعداد فقط لمرحلة العهد الجديد، وهذا أمر آخر. إنّه غير قادر أن ينتزع ما تحقّق بشخص

المسيح الربّ: الحياة الأبديّة، كما هو غير قادر على إسداء ما أسدي بشخص المسيح الفادي: الحياة الأبديّة. فلا نربطنّ «ربطًا وثيقًا» بالتالي، بين «الحياة الأبديّة» و «الوصايا العشر»، إلى حدّ أن نجعل من هذه الأخيرة شرطًا للخلاص.

إنّ تفسير جواب يسوع وفق الطريقة التأوينيّة يصبح أقرب إلى الصواب عندما يُنتزع منه ما ليس في الجواب، بل هو محض إضفاء عليه من قبيل الآنيّة الملحاح. فالحديث عن «رباط وثيق بين الحياة الأبديّة وحفظ وصايا الله» مقبول في التفسير التأوينيّ، شرط أن يحمل التشديد على معنى الدخول فيها، لا على معنى الاشتراط، سعيًا في الخلاص.

ثمّة مثال آخر في الرسالة على القراءة التأوينيّة يظهر في الصفحة ٢٢، تحت الرقم ١٣. تؤكّد الرسالة في تفسيرها جواب يسوع الذي يورد فيه بضعًا من الوصايا العشر أنّ

«يسوع لم يبغِ وَضعَ لائحة جميع الوصايا اللازمة «للدخول في الحياة»، وإنّما بالأحرى إرجاع الشابّ إلى ما يؤلّف «النقطة المحوريّة» في الوصايا العشر، بالنسبة إلى أيّ من الأوامر الأخرى، أي إلى ما تعنيه للإنسان عبارة «أنا هو الربّ إلهك...»».

فالوصايا الواردة في جواب يسوع هي، بحسب هذا التفسير، محور الوصايا العشر. لكنّ نظرة محلِّلة إلى فحوى هذا التأكيد لا تلبث أن تنزع النقاب عن عدد من فجوات عبارته:

١ – لو كانت تلك الوصايا حقيقة نقاطًا محوريّة في لائحة الوصايا العشر، فلمَ ترد إذًا في ختام اللائحة، بعد أوامر أخرى؟

٢ – ولو كانت تلك الوصايا حقيقة نقاطًا محوريّة «بالنسبة إلى أيّ من الأوامر الأخرى» في لائحة الوصايا العشر، على حسب تأكيد الرسالة، فهل هذا يعني أنّ الأوامر الأخرى أقلّ محوريّة منها؟ حاشى! فعبادة الله الواحد (خر ٢٠: ٣) عبادةٌ صحيحة لا زيف فيها (الآيتان ٤–٥)، دون الإساءة إليه أو إهانة اسمه (آ ٧)، هي نقاط أكثر محوريّة وأهمّيّة.

٣- وهل تعكس الوصايا الواردة في جواب يسوع، كما تدّعي الرسالة، ما تعنيه للإنسان عبارة «أنا هو الربّ إلهك»؟ أم هي بالأحرى الوصايا السابقة لها في اللائحة؟ أليست هذه الأخيرة، التي تلي مباشرة العبارة المذكورة؟

ليست الوصايا التي ذكرها يسوع في جوابه أكثر محوريّةً من الوصايا الأخرى في لائحة الوصايا العشر؛ بل العكس هو صحيح، إذ تؤلّف الأوامر الواردة أوّلًا في تلك اللائحة ما هو جوهريّ لحياة الإنسان، بينما تبدو الأوامر اللاحقة «تعبيرًا» مجسّدًا، لا نقاطًا محوريّة، لما هو حقيقة جوهريّ. وقد تنبّهت الرسالة، في سائر الأحوال، إلى مغالاتها في هذا الصدد، فأصلحت في الصفحة ٢٣ من شأن هذه المغالاة وأعادت إلى الموضوعيّة العلميّة صياغة عبارتها، فأقرّت أنّ الوصايا التي وردت في جواب يسوع هي «وصايا تدخل في عداد ما يسمّى «باللوحة الثانية» للوصايا العشر...».

٣ ـ القراءة الروحانيّة

يتميّز هذا النوع الثالث من القراءة الذي تطالعنا به رسالة روتق الحقيقة بتغرّبه عن المحاولات التفسيريّة. فالعرض يتّخذ له نقطة انطلاق من الآية المثبتة في مطلع القراءة، فيستوحي من عبارتها فكرةً يغوص فيها تأمّلًا، ويشيعها توغّلًا في أبعادها الروحيّة، ويتقلّب في صورها على كلّ وجه طارقًا كلّ مرجع تطرّق إليها: من الرسائل البولسيّة والكاثوليكيّة إلى القرارات المجمعيّة، ومن الشهادات الآبائيّة إلى التحديدات البابويّة. لذا، فإنّ تصريحات الرسالة المندرجة في هذا الصنف من القراءة تدخل في مضمار البناء الروحيّ وتشييد عزائم النفس البشريّة، ليس إلّا.

من الأمثلة الناطقة على هذا الضرب من القراءة ما تورده الرسالة على طول الصفحتين ٣٤-٣٥، تحت الرقم ٢٠، إذ نجد هنا استطرادًا حول موضوع المحبّة، منصبًّا تحليلًا وبرهانًا لا على كلمات يسوع الآمرة «تعال اتبعني»، بل على الآية يو ١٥ : ١٢ : «هذه هي وصيّتي: أن يحبّ بعضكم بعضًا كما أنا أحببتكم».

كما يمكن إدراج القراءة المبسوطة في الصفحات الممتدّة من ٣٧ إلى ٤١، الموضوعة تحت الأرقام ٢٢، و٢٣ و٢٤، ضمن هذا النوع من القراءة الروحانيّة. فتحت عنوان «كلّ شيء ممكن عند الله» تستطرد الرسالة في قراءة روحانيّة مسهبة لمقاطع عديدة من العهد الجديد، ولا سيّما رسائل القدّيس بولس والرسالة الأولى للقدّيس يوحنّا. إنّ الموضوع المشترك الذي يوجّه نصّ الرسالة إلى الغَرف من هذه المقاطع المختلفة هو موضوع المحبّة، فيما لا نجد تفسيرًا ولا إلماحًا إلى كلام يسوع المصدَّر في العنوان.

خلاصة

يبرز الفصل الأوّل من الرسالة رونق الحقيقة في حلّة تأمّليّة ناصعة، تعبق بأريج التنعّم في مخاطبة كلام الله أو تذوّق حلوه على انبساطه في العهدَين القديم والجديد. وإذ يتصدّر فاتحةُ الكلام فيها فهو خير محيّا للتعليم الذي تسديه، من ثمّ، عبر دفّتَي الكتاب، يضفي عليه وعلى قارئه مسحة من ترفّع النفس وصبوتها نحو الخالق، في سعي وراء الاستنارة بالحقيقة التي هي في ذاته الخالقة. علاوة على هذا، فإنّ الفصل الأوّل من الرسالة يُبرز أيضًا في دوره المميّز كقاعدة للبناء الأخلاقيّ، الذي ترمي الرسالة إلى تشييده.

لكنّ قراءته لفصول الكتاب المقدّس، كما بدت لنا من خلال ما تقدّم، ليست دائمًا تلك القراءة الموضوعيّة التي تجيز إبرام الخلاصات المنيعة، ولا سيّما ما بدا منها في لهجة جازمة وحاسمة. فالنتيجة الملزِمة ملزَمة بمطابقتها التامّة لقراءة منزّهة عن كلّ ميل واتّجاه. وإذ تتراوح قراءة الفصل الأوّل من الرسالة بين أنواع مختلفة من القراءات التفسيريّة يصعب بالتالي البتّ في أمر النتائج التي يُبلَغ إليها، بصورة عامّة. ويجب، من ثمّ، النظر في حالة كلّ نتيجة على حدة.

يبقى علينا أن نذكر أخيرًا ما للرسالة من حقّ على الملتزمين عميقًا في نهج مسيحيّ كاثوليكيّ وصميميّ.

صدر حديثاً عن دار المشرق